اطفـــــــــال الحـــــــرب في العـــــــراق .. أمـــــــراء حروب المستقبـــــــل: دراسة في حقوق الطفل العراقي

د. احمد علي محمد(*)

الملخص

تصاعد الاهتمام بدراسة اثر الحروب على المدنيين عامة والاطفال خاصة مع تزايد اعداد الضحايا منهم والتحول في طبيعة الحروب والنزاعات المسلحة التي اصبحت اليوم اكثر فتكاً بالأطفال منها بالمقاتلين .

ان النزيف البشري والمادي الذي احدثته عقود من الحروب المتعاقبة في العراق سيحتاج الى عقود اكثر للشفاء من اثاره وتداعياته . لقد خلفت الحرب الملايين من القتلى والايتام واطفال الشوارع فضلا عن الملايين من المصابين بالإعاقات والاضطرابات النفسية .وازاء قصور السياسات الحكومية نجحت الجماعات والميليشيات المسلحة في الاستثمار في هذه الجيوش المليونية من الاطفال لتحولهم الى مشاريع قتلة واستشهادين وقادة ميليشيات .

ان خروج العراق من دوامة الحرب والعنف رهن بانتشال الطفولة من هذه الحلقة المفرغة التي تحول ضحايا اليوم الى امراء حروب الغد.

المقدمة

تصاعد الاهتمام بدراسة اثر الحروب على المدنيين عامة والاطفال خاصة مع تزايد اعداد الضحايا منهم والتحول في طبيعة الحروب والنزاعات المسلحة التي اصبحت اليوم اكثر فتكاً بالأطفال منها بالمقاتلين .

(*) جامعة الانبار ، كلية القانون والعلوم السياسية .

واليوم وبسبب تقاطع المصالح الدولية وتصاعد حمى التطرف تعج منطقتنا العربية بالحروب والنزاعات التي تتفنن في انتهاكها لكل الاعراف والقيم الانسانية . ومن بين دول المنطقة يجسد العراق الصورة الاكثر مأساوية لبلد اثخنته جراح ثلاثة عقود ونصف من الحروب المتعددة الاشكال والصور ليدخل اليوم في اتون حرب جديدة هي الاقسى على المدنيين الامنيين بما حوته من الوان التهجير والقتل والنزوح .

لقد احدثت كل تلك الحروب اثاراً عميقة لا يمكن محوها على مر الزمن بل وستتجاوز اثارها حدود العراق الى تهديد الامن الاقليمي والدولي بعد ان اصبح العراق البيئة الاخصب لثقافة العنف والتطرف ولاستثمار الارهاب الدولي والجماعات المسلحة في اطفاله ممن طحنتهم رحى الحرب لتحولهم الى مشاريع قتلة وارهابيين وامراء لحروب المستقبل . وهو ما يعكس حاجة العراق وبعض دول المنطقة الى انتشال اطفالها من هذا الواقع المزري .

ان اهم الاسئلة – الاشكاليات التي تسعى الدراسة للإجابة عنها تتمثل بالاتي :

- ما هي الاثار التي تخلفها الحروب على حقوق الاطفال وشخصياتهم ومن خلالهم على مستقبل البلاد ؟
- وما علاقة تلك الاثار بدوامة الحروب المستدامة التي يعيشها العراق منذ اكثر من ثلاثين عاما ؟
- وهل يمكن بناء استراتيجية امنية او تنموية بمعزل عن حقوق الطفل ؟

ان الفرضية الاساسية التي تعتمدها الدراسة تقوم على اساس ان اهمال الطفولة وحقوق الطفل العراقي هو احد اهم اسباب فشل الاستراتيجيات الامنية والتنموية في البلاد واستمرار دوامة العنف المستدام فيها وعليه فان الاستثمار في حقوق الطفل والاسرة هو الاستثمار الحقيقي والرابح للمستقبل.

اما الهدف من هذه الدراسة : فهو رصد وتحليل اثار الحروب على اطفال العراق ووضع الجهات الوطنية المعنية والمجتمع الدولي ومنظماته امام مسؤولياتها الاخلاقية والقانونية في انقاذ اطفال العراق كسبيل لضمان مستقبل السلم والامن الدوليين في هذه المنطقة الحساسة من العالم .

وفيما يتعلق بالاطار المنهجي للدراسة : فلا بد ان نشير ابتداءا الى ان الدراسات التي تتناول موضوعة (اطفال الحرب) تتوزع عادة على واحدة من ثلاث مقاربات منهجية هي:

1- المقاربة القانونية : وتدرس الموضوع من زاوية قانونية صرفة . وتهدف الى حماية الاطفال من خلال تطوير التشريعات الدولية والداخلية وهي مقاربة وقائية وعلاجية في آن معاً .

2- المقاربة النفسية : وتعتمد منظور علم النفس (psychology) وتهدف الى المعالجة النفسية من خلال دراسة عينة من الاطفال المتأثرين بالحرب وتركز على مصطلحات ما بعد الصدمة وهي مقاربة علاجية .

3- المقاربة التنموية : وتنطلق من زاوية التوظيف الامثل للموارد وتهدف الى مساعدة الاطفال ضمن السياق الاجتماعي الاوسع من خلال خلق بيئة حمائية للطفل تضمن نموه السليم واطلاق طاقاته . وهي مقاربة وقائية.

اما المقاربة المنهجية التي تعتمدها هذه الدراسة فأنها تقوم على الاستفادة من تلك المقاربات الثلاث مجتمعة وتحليل الابعاد السياسية لكل منها وذلك لإعطاء صورة واضحة عن اثار الحرب المستقبلية على العراق واطفاله .

وفي نفس الاطار المنهجي فان الدراسة تتوسل بالمنهج الوصفي التحليلي في وصف الظاهرة وتحليل معطياتها واثارها السياسية والمستقبلية بالإضافة الى تحليل مضامين النصوص الواردة فيها .

اما هيكلية الدراسة : فأنها تتوزع على ثلاثة مباحث وستة مطالب بالإضافة الى المقدمة والخاتمة والتوصيات وذلك على وفق الاتي :

المبحث الاول : المقاربة القانونية : حقوق الطفل والسياسات الدولية

المطلب الاول : الحرب المعاصرة وحقوق الطفل

المطلب الثاني: حقوق الطفل العراقي والمسؤولية الدولية

المبحث الثاني : المقاربة السايكولوجية : الطفل وتنشئة الارهاب

المطلب الاول :الطفل واضطراب ما بعد الصدمة

المطلب الثاني : الطفل العراقي وادمان العنف

المبحث الثالث : المقاربة التنموية : اهمال الطفولة والعنف المستدام

المطلب الاول : اهمال حقوق الطفل في العراق

المطلب الثاني : حقوق الطفل العراقي واستثمار المستقبل

المبحث الاول : المقاربة القانونية : حقوق الطفل والسياسات الدولية

المطلب الاول : الحرب المعاصرة وحقوق الطفل

ان امل البشرية بأقامة عالم خالي من الحروب ظل بعيد المنال, فالتأريخ وهو يقدم كشفاً بأحداثه يبين ان البشر اقدر على دخول النزاعات منهم الى الخروج منها .([1]) حتى قيل ان تأريخ الحروب هو تأريخ البشرية نفسه . ([2])

وازاء الدمار الذي تحدثه الحروب, سعى مناصروا الحروب وقادتها منذ القدم الى تبرير شناعاتها ومآسيها على البشرية من خلال مفهوم "الحرب العادلة" وهو مفهوم مرن ومتكيف مع الظروف والامكنة ([3]) , امكن توظيفه لتبرير حتى اكثر الحروب ظلماً وشناعة .

عليه, ذلك سعى الفكر البشري الى التمييز في اطار الحرب العادلة بين (حق الحرب) و (الحق في الحرب) ففي حين يدل التعبير الاول على مجموعة الظروف التي تسوغ الشروع بالحرب فأن التعبير الثاني يراد به مجموعة الشروط التي ينبغي الالتزام بها في اثناء الحرب وتقييد استعمال القوة فيها . ([4])

لقد كان الهدف الاساس من تنظيم الحق في الحرب حماية المدنيين ومن بينهم الاطفال وذلك من خلال مجموعة من المبادئ والقواعد التي تجد اصولها في الحضارات القديمة والتي

---

[1] د. هادي نعمان الهيتي, النزاعات المسلحة: من تأثيراتها المباشرة في الاطفال الى تأثير الفضائيات فيهم , مجلة الطفولة والتنمية , المجلس العربي للطفولة والتنمية , العدد 9 , 2003 , ص 131 .

[2] د. امل حمدي دكاك , الاحتلال الامريكي للعراق وانتهاك حقوق الاطفال العراقيين : دراسة ميدانية لعينة بحثية من الاطفال العراقيين اللاجئين في دمشق , مجلة جامعة دمشق, العدد 3 – 4 , 2010 , ص399 .

[3] مجموعة باحثين, قاموس الفكر السياسي, ترجمة: دكتور انطوان حمصي, منشورات وزارة الثقافة, دمشق, 1994, ص248 .

[4] نفس المصدر والصفحة .

اثريت بالقيم الاسلامية ومبادئ الفروسية والنبالة في العصور الوسطى لتتبلور كمبادئ قانونية مقننة في العصر الحديث . ([1])

واليوم فأن القانون الدولي ينظم موضوع حماية الاطفال في الحروب من خلال ثلاثة فروع هي :

1 – القانون الدولي الانساني : والذي يشتمل على اتفاقية جنيف لعام 1949 والبروتوكولين الاضافيين والتي تسمى بنظام اتفاقية جنيف . ([2]) .

2 – القانون الدولي لحقوق الانسان : ويتمثل باتفاقية حقوق الطفل لعام 1989 ()[3] والبروتوكول الاختياري الملحق لعام 2000 م . ([4])

3 – القانون الجنائي الدولي : الذي يتضمنه نظام روما الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية ([5]) .

لقد جاء هذا التطور القانوني متوازياً مع تطور نوعي في اشكال الحرب وتزايد ضحاياها من المدنيين والاطفال . ففي القرن الثامن عشر والتاسع عشر واوائل القرن العشرين كان ما يقرب من نصف جميع الوفيات في مناطق النزاع من المدنيين وفي الحرب العالمية الثانية بلغت نسبة المدنيين ثلثي عدد القتلى وبحلول نهاية القرن العشرين كان ما يقرب من 90% من المدنيين . ([6]) نصفهم على الاقل من الاطفال . وفي عام 1995

---

[1] للتفصيل ينظر : عليوه سليم , حماية الاطفال اثناء النزاعات المسلحة الدولية , رسالة ماجستير , كلية الحقوق / جامعة الحاج لخضر , 2010 , ص ص 22–38.

[2] For more details look : R.K.Dixit , Special Protection of Children During Armed Conflicts Under Geneva Convention Regime. Available on : http://www.worldii.org/int/journal

[3] للتفصيل ينظر : اتفاقية حقوق الطفل : اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق بموجب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة 25/44 في 20 ت 2 1989 . تأريخ النفاذ 2 ايلول 1990 متاحة على الموقع :

http:// www.unicef . org/Arabic/files

[4] ينظر البروتوكول الاختياري الملحق لأتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الاطفال في النزاعات المسلحة متاحة على الموقع : http://www.unicef.org/arabic/files/

[5] ينظر نظام روما الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية . متاحة على الموقع : http://www.icc.cpi.int

[6] Robein Wright, The New Way of War : Killing the Kids. Available on : http://www.newyorker.com

ذكرت اليونسيف ان ما يقرب من مليوني طفل قتلوا في الحروب في العقد السابق بل واكثر من عدد القتلى من الجنود. ([1]) وفي عام 1996 فصلت (غراسيا ما شيل) في تقريرها المطول والاول من نوعه في انواع الانتهاكات التي تحملها الحروب لحقوق الاطفال ([2]) .

وتوالت بعدها التقارير في هذا المجال كما اصدر مجلس الامن عدداً من القرارات بهذا الخصوص. ([3])

ان كل ذلك يعكس تطوراً في اشكال الحرب المعاصرة التي اصبحت اكثر فتكاً بالمدنيين والاطفال منها بالمقاتلين كما تنفرد بمستويات مخيفة من العنف بما تشتمل عليه من اغتصاب منظم واساليب حرق الارض وتدمير المنازل وتسميم الابار والتطهير العرقي والابادة الجماعية ([4]) حتى بدا ان الحرب بجيوش نظامية وعلى ساحة المعركة اصبحت شيئاً من الماضي . كما ان قيم النبالة والفروسية لا تجد لها مكاناً في حروب اليوم التي هي في الغالب حروب داخلية وليست دولية ([5]) تشتمل على الفاعلين من غير الدول كالمجاميع الارهابية والمسلحة . وتحول القتال من الخنادق والمواضع الى شوارع المدن ليغزو المدارس والمستشفيات ورياض الاطفال واصبحت اعداد الضحايا من الاطفال على المستوى العالمي بأرقام لم يسبق لها مثيل لاسيما مع التطور النوعي في منظومات الاسلحة . ومن غير المرجح ان ينخفض عدد الضحايا من الاطفال في المستقبل القريب .

المطلب الثاني : حقوق الطفل العراقي والمسؤولية الدولية

لثلاثة عقود ونصف والعراق يعيش في حالة حرب تنوعت اشكالها وما تزال رحاها دائرة لتجسد واحدة من اكثر الصور مأساوية لضحايا الحرب من الاطفال في العصر

---

[1] Ibid .

[2] For more details look : Promotion and Protection of the Rights of Children-note by the Secretary General , 2 , August 1996 , Ms. Gracia Machel . available on : http://www,unicef.org

[3] للتفصيل حول قرارات مجلس الامن بهذا الخصوص ينظر الموقع: http://www.unicef . org

[4] علاء قاعود , عبد الرحمن عبد الخالق , الاطفال والحرب , مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان , القاهرة , 1999 , ص ص 7–8 .

[5] Children and War , Ttoolkit, Even Wars Have Limited, Canda Red cross. Available on :http://www.redcross.ca

الحديث .فأطفال العراق في الثمانينات فتحوا عيونهم على حرب شرسة حصدت مئات الاف من العراقيين ([1]) ومع ذلك فقد كان الغالبية منهم امنين في بيوتهم مع تعليم ممتاز وتغذية جيدة وخدمات صحية هي الافضل على مستوى الشرق الاوسط . ([2]) ثم بدأت المحنة الحقيقية لأطفال العراق بعد غزو دولة الكويت وما تلاها من حرب وحصار اقتصادي . ففي الفترة بين 16 ك2 وشباط 1991 اسقط على العراق مازنته 88 الف طن من القنابل اي ما يعادل القوة التفجيرية لسبع قنابل ذرية كتلك التي القيت على هيروشيما . ([3])

واستهدفت طائرات وصواريخ التحالف جميع منشآت البنى التحتية الحيوية والمدارس والمنازل والمستشفيات ولم تستثني حتى الملاجئ كما حصل لملجأ العامرية والذي راح ضحيته اكثر من 408 غالبيتهم من الاطفال والنساء . ([4]) وفرضت الامم المتحدة بموجب القرار (661) في عام 1990 الحصار الاقتصادي على العراق وقد هيمنت الولايات المتحدة وبريطانيا على لجنة العقوبات الدولية ومنعت استيراد المواد الغذائية والصحية وطال المنع حتى حليب الاطفال واقلام الرصاص في مخالفة صريحة للقانون الدولي الانساني . ([5])

وقدر البعض عدد الوفيات بمليوني وفاة بسبب نقص الغذاء والدواء نصفهم من الاطفال ووصل الامر بحسب جيف سيمونز الى حد "الابادة الجماعية لشعب بكامله"([6]) وعندما سألت مادلين اولبرايت عن عدد الضحايا من الاطفال اجابت " نعتقد بأن

---

[1] د.وعد ابراهيم خليل الامير , اطفال العراق : الخاسر الاكبر بعد الاحتلال . مجلة الطفولة والتنمية , المجلس العربي للطفولة والتنمية , العدد 18 , 2011 , ص 139 .

[2] Joanna Baker, The Impact of the Iraq War on Iraqi Children : available on : http://www.childrenvictimsofwar.org.uk

[3] جيف سيمونز , التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, 1998 , ص31 .

[4] حادثة ملجأ العامرية. متاحة على الموقع : http://www.ar.wikipedia.org

[5] Prof Souad N. AL-AZZAWI,Violations of Iraqi Children Rights. available on : http://www.globalrescarch . ca

[6] جيف سيمونز , مصدر سابق , ص14

النتيجة تستحق ذلك " ([1])وهنا يثار السؤال : في حالة وجود قرارات لمجلس الامن تخالف ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي الانساني وتسبب كارثة انسانية او حتى ابادة جماعية للأطفال فهل هناك من جهة تقرر ذلك؟ . والحقيقة ان المجتمع الدولي لم يطور القوانين التي تحكمه ليقرر وجود جهة تنظر في مدى مشروعية قرارات المجلس لذا فأن ذلك سيكون متروك لتقدير المجتمع الدولي([2]) الذي ستهيمن عليه بالتأكيد ارادة القوي.

وبعد ثلاثة عشر عاماً من الحصار الجائر سعت الولايات المتحدة مرة اخرى لاستحصال الشرعية الدولية لغزو العراق وحينما فشلت قررت التحرك منفردة تحت ذريعة اسلحة الدمار الشامل التي ثبت زيفها .

في خلال الفترة 17 – 30 ك2 2003 اي قبل الاحتلال بشهرين فقط زار فريق من مركز الحقوق الاقتصادية والاجتماعية – وهو منظمة دولية غير حزبية – العراق لتقييم الوضع الانساني في حالة نشوب حرب . كان الاستنتاج الرئيسي الذي خرج به الفريق هو ان "المجتمع الدولي غير مهيأ لكارثة انسانية جديدة تنتج عن حرب اخرى في العراق" . ([3])

وقد تجاهلت الولايات المتحدة وبريطانيا ذلك وخاضت حرب احتلال للعراق كانت اشد فتكاً من سابقتها في عام 2003 . فكان على الاطفال مواجهة الاستخدام المفرط للقوة (استراتيجية الصدمة والرعب) بالإضافة الى تدمير شامل للبنى التحتية واطلاق يد العصابات في حرق ونهب مؤسسات النفع العام على مرأى من قوات الاحتلال ([4])، في مخالفة صريحة لاتفاقية جنيف التي تلزم سلطات الاحتلال بحماية المدنيين والمنشآت المدنية . وتنص المادة (50) في اتفاقية جنيف على " ان تكفل دولة

---

[1] امراض الحرب تفتك بأطفال العراق متاحة على الموقع : http:// www.y1f3.net

[2] خالد بن علي ال خليفة , حماية الطفل في النزاعات المسلحة , مجلة الطفولة والتنمية , المجلس العربي للطفولة والتنمية , العدد 4 , 2001 , ص ص 40 – 41 .

[3] The Human Costs of War in Iraq , Center for Economic and Social Rights, Broooklyn, available on : http://www.cesr.org/iraq. /

[4] للتفصيل ينظر : Prof. Souad Al– Azzawi , Op cit

الاحتلال بالاستعانة بالسلطات المحلية حسن تشغيل المنشآت المخصصة لرعاية الاطفال وتعليمهم " ([1]) .

وكانت قد اشارت الوثائق الخاصة بوزارة الدفاع الامريكية الى استخدام اكثر من (300) طن من اليورانيوم المنضب في حرب 1991 ([2]) كما استخدمت (2000) طن من تلك المادة في حربها عام 2003 مما قاد الى زيادة مهولة في اعداد المصابين بالأمراض السرطانية لاسيما من الاطفال فضلاً عن الولادات المشوهة كما واصلت تلك القوات استخدامها للقنابل العنقودية والنابالم والفسفور الابيض ([3]) ضد المقاومة المسلحة كما حصل في الفلوجة ([4]) ومعروف ان اثار هذا التلوث قد تمتد الى اكثر من (4500) سنة اي اطول من عمر الارض. ([5]) وفي الوقت الذي حرصت فيه سلطات الاحتلال على احصاء عدد قتلاها فأنها لم تكترث بعدد القتلى من المدنيين والاطفال .

وفي هذا الصدد يشير الكاتب جون تيرمان الى ان اخفاء عدد القتلى من المدنيين في الحروب الامريكية هو جزء من الثقافة السياسية الامريكية التي تنظر الى هؤلاء الضحايا كاثر جانبي غير ضروري لمهمة كونية . ([6])

وطبقاً لدراسة نظمتها احدى المؤسسات البحثية البريطانية بالتعاون مع مركز بحثي عراقي في ايلول 2007 قدرت عدد القتلى للفترة من 2003 – 2007 بحدود 1,03

---

[1] للتفصيل ينظر : د. كاميران صالحي , قواعد القانون الدولي والتعامل الانساني , مؤسسة موكرياني , اربيل , 2008 , ص ص 88 – 124 .

[2] أ.د سوسن شاكر الجلبي , اثر الحصار الاقتصادي على الجوانب الصحية لأطفال العراق . متاحة على الموقع : http://www.arabpsynet.com

[3] مركز بابل : تدهور حال الطفل في العراق .متاحة على الموقع : http://www.darbable.net

[4] في معركتي الفلوجة الاولى والثانية عام 2004 استخدمت قوات الاحتلال تلك الاسلحة بصورة كبيرة مما قاد الى زيادة كبيرة في حالات الاصابة بالسرطان والتشوهات الخلقية بين الاطفال للتفصيل ينظر :

Chris Busby and other authors ،Infant Mortality and Birth Sex Ratio in Falluja : Iraq 2005 – 2009 , International journal of Environmental Research and Public Health . available on: http:// www.mdpi .com / e.journal / ijerph .

[5] أ. د. سوسن شاكر الجلبي , مصدر سابق .

[6] للتفصيل ينظر :

John Tirman , The Death of Others : the Fate of Civilians in American's Wars, Oxford university press, New york , 2011 , p 255.

مليون شخص . ([1]) وتشير تقديرات اخرى الى ان حوالي ثلث (29%) من القتلى المدنيين هم من الاطفال . ([2])

لقد قادت سياسات قوات الاحتلال بعد عام 2003 الى تكريس الانقسام العرقي والطائفي في البلاد وثبتت ذلك في الدستور وبحلول 2006 كانت البلاد قد انزلقت الى رحى حرب اهلية طاحنة . ([3]) قادت هذه الحرب الى التهجير ونزوح الملايين وبلغ عدد المهجرين والنازحين اكثر من 4 مليون شخص حتى عام 2013 من ضمنهم الاطفال كما قادت الى زيادة عدد الايتام الذي وصل ما يقارب 4 – 4,5 مليون يتيم مع 1–3 مليون ارملة وحوالي 600 الف طفل يعيشون في الشوارع . ([4])

قبل 2003 لم يكن تنظيم القاعدة يشكل اي مشكلة في العراق ولم يكن له اي نشاط يذكر ولكن سياسة الولايات المتحدة بحل الاجهزة الامنية وابقاء الحدود مفتوحة لتحويل البلاد الى (مصيدة) للإرهابيين مع تصاعد الانقسامات الطائفية في البلاد قوى من ساعد هذه التنظيمات مما قاد الى تفجر الاوضاع عام 2014 م باستيلاء تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) على العديد من المدن العراقية في حزيران من ذلك العام فعادت امريكا لقيادة تحالف دولي جديد في حرب جديدة ساحتها العراق ايضاً وليس سوريا – معقل التنظيم – ليبدأ شكل جديد من الحرب المتعددة الاطراف التي تجمع كل اشكال الحرب السابقة التي عرفها العراق . يختلط فيها البعد الدولي والاقليمي للحرب بالصراع الداخلي والحرب الاهلية .

وفي تموز من ذلك العام شهد العراق اسوأ عملية نزوح جماعي في تأريخه ليضاف اكثر من 1,8 مليون نازح على الاعداد السابقة للنازحين مع 1,7 مليون عالقين في مناطق النزاع و 5,2 مليون بحاجة ماسة الى مساعدات انسانية اكثر من نصفهم من

[1] Child Victims of war : Iraq . available on : http://childvictims . org . uk
[2] The Situation of Children in Iraq and Returning Unaccompanied Minors, available on http:// www.landifo. No
[3] Joanna Baker, Op.cit
[4] For more details look : Child Victims Of War :Iraq , Op.cit and also : prof. Souad AL-Azzawi , Op.cit

الاطفال . ([1]) وفي شباط 2015 اشارت لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة الى ان متشددي تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) يبيعون الاطفال العراقيين المخطوفين في الاسواق كرقيق ويقتلون اخرين صلباً او حرقاً كما يستخدمون بعضهم كدروع بشرية لحماية المنشآت من الضربات الجوية للولايات المتحدة . ([2])

لقد بات اطفال العراق يطحنون بين سندان الارهاب ومطرقة مكافحة الارهاب . ولعل من المفارقات ان اغلب انتهاكات حقوق الانسان اليوم تمارس تحت مظلة هذين المتناقضين . ان محنة الاطفال في مناطق النزاع لا تنفصل عن مشاكل المجتمع الدولي والسياسة الدولية بما تزخر به من عدم مساواة وعدالة كما انها لا تنفصل عن الامن والسلم الدوليين .

وعليه فأن المجتمع الدولي يتحمل مسؤولية مباشرة عن محنة اطفال العراق لا سيما وانه منخرط في مصير ومستقبل العراق منذ عام 1991 . والكثير من الجرائم بحق الطفولة في العراق ارتكبت تحت مظلة الشرعية الدولية او في اطار تجاهل المجتمع الدولي . واذ يتصاعد الجدل في العراق حول ما اذا كان ما يحصل اليوم في العراق هو النتيجة المقصودة والمخطط لها في اطار عملية التدمير الممنهج للإنسان العراقي من قبل الولايات المتحدة والتي بدأت ضد اطفال العراق عام 1991 ام انه نتيجة سياسات غير محسوبة العواقب . فأن المجتمع الدولي في اي من الحالتين يتحمل نتيجة هذا السكوت الذي حول الكثير من اطفال الامس الى امراء حرب وقادة ميليشيات ومجاميع مسلحة تهدد امن المنطقة والعالم .

المبحـث الثانـي: المقاربة السايكولوجية : الطفل وتنشئة الارهاب

[1] Strategic Response Plan – available on : http://www.reliefweb.int 2014-2015

[2] لجنة حقوق الطفل : داعش يبيع ويصلب الاطفال ويحرقهم في العراق . متاحة على الموقع :
http://www.ilalamam.com

المطلب الاول :الطفل واضطراب ما بعد الصدمة

تشير منظمة وورتشيلد(اطفال الحرب) الكندية في شعارها الى الاثار النفسية الكبيرة للحرب على الطفل تحت شعار "بالإمكان ان نخرج طفلاً من الحرب. لكن, من ذا الذي يستطيع ان يخرج الحرب من الطفل" ([1]). وعلى الصعيد الاكاديمي فمنذ ان اصدر نورمان كارمزي ([2]) في عام 1983 م اول دراسة متخصصة حول تأثير الحرب على الاطفال حتى توالت الدراسات ([3]) في مجال ما يعرف باضطرابات ما بعد الصدمة التي تشتمل على طيف واسع من الاعراض .([4]) وقد صنف علماء النفس بصفة خاصة الصدمات النفسية للحروب على الاطفال في باب الاثار المدمرة . ([5])

والواقع ان الاثار النفسية التي تركتها الحروب على الاطفال في العراق تفوق كثيراً الدمار المادي الذي احدثته في العمران والاقتصاد . ويعبر احد المختصين في جامعة بيرغن بالنرويج عن هذا الواقع حينما عاين اطفال العراق بعد حرب 1991 م بقوله: "ان اطفال العراق يشبهون الاموات الاحياء , انهم فقدوا مشاعرهم كافة ولا يتمتعون بحياتهم" ([6]) .

اما اليونسيف فقد اكدت في برنامجها الانساني الخاص بتأهيل الاطفال " بان الطفل العراقي يمر بأقسى ما يمكن ان يتعرض له طفل في العالم وان اعادة تأهيلة اجتماعياً ترتطم عكسياً بما يراه الطفل امام عينيه من مجازر وانفجارات وجثث ودوي انفجارات

---

[1] Children and War , Toolkit , Even Wars Have Limited , canda red cross . available on: http://www.redcross.ca.

[2] نورمان كارمزي اكاديمي امريكي مختص بعلم النفس خدم في الحرب العالمية الثانية وهو مختص بأبحاث المخاطر والصمود ولد في سنة 1918 وتوفي في سنة 2009 .

[3] For more details look: Emmy E .Werner, Children and War : Risk , Resilience and Recovery , development and psychopathy ology journal , vol. 24, Cambridge university press , 2012 , pp 553-558 Available on:http://www.child-soldicrs.org

[4] لمزيد من التفاصيل ينظر : فيولا البيلاوي , الاطفال في ظل الازمات : نماذج من استراتيجيات ارشاد الأزمات للأطفال , مجلة الطفولة والتنمية , المجلس العربي للطفولة والتنمية , العدد 1 , 2001 , ص ص 25–59 .

[5] منى عبد الفتاح , الحرب والامان النفسي للأطفال . متاحة عل الموقع :

http://www.bawaba.khayma.com

[6] جيف سيمونز , مصدر سابق , ص 46 .

وشظايا ورصاص ودماء, ان ذلك كله ينعكس سلبياً على حياته وسلوكه وقد يؤدي الى التخلف العقلي او الجنون " .([1])

كما اشارت العديد من التقارير والدراسات الى اصابة اطفال العراق بكل ما حواه علم الاضطرابات السلوكية من اعراض وامراض واضطرابات نفسية واعاقات وانحراف نتيجة للحروب . ([2]) وفي احدى تلك الدراسات والتي جرت على عينة من الاسر العراقية اوضحت ان اكثر من 35% يعانون من مشاكل نفسية اساسية وان اكثر من 3,5 % يفكرون بأنهاء حياتهم و 8% كانوا يشعرون بأنهم لا قيمة لهم . ([3])

لقد تركت فضائع الحروب اثاراً مدمرة على حياة اطفالنا الابرياء خصوصاً وانهم يفتقرون الى الرعاية الصحية نتيجة تداعي الهياكل الصحية الاساسية التي دمرت هي الاخرى بسبب الحروب. كما تعرض الاطباء المختصون بالصحة النفسية الى القتل الممنهج والتهجير . فضلاً عن قلة الوعي وقلة الكوادر والمستلزمات في ظل حالة فقدان الامن الامر الذي جعل هذا القطاع قطاعاً مهملاً في العراق كما يؤكد احد المختصين . ([4])

وفي مقابل هذا الغياب للمعالجات الحكومية الفاعلة نجحت الفصائل والجماعات المسلحة باستثمار هذا الجانب وتحويل المساجد والحسينيات وحتى السجون الى مراكز تأهيل نفسي سلبي لمئات الالاف من المراهقين والاطفال والنساء والارامل المصابين باضطرابات نفسية والفاقدين الامل بالحياة وايتام القتال الطائفي الذين يسهل تعبئتهم

---

[1] د. وعد ابراهيم خليل , مصدر سابق , ص144

[2] For more details look : CARA . A study of Education 0pportunities for Disabled Children and Youth and Early Childhood Development (E C D) in Iraq , April 2010 .p p 14-17 . available on :http://www.escholar.manchester. ac. Uk
Anica Mikus Kos and Barbara Zemljak , Psychosocial Support For Children, Families and Teachers in Iraq , intervention , vol.5 , no. 2 , 2007 , p p 150 – 158 available on : www.ourmediaourselves.com
Abdul Kareem AL- Obaidi , Boris Budosan and Linda Jeffery, Child and Adolescent Health in Iraq , intervention , vol. 8 , no. 1 , 2010 , p p 41-42 available on: : http:// : www.ourmediaourselves.com

[3] Healing Iraqis : the Challenges of Providing Mental Health Care in Iraq. P2available on : http://www.msf.es

[4] For more details look : Abdul Kareem AL- Obaidi , Iraq Children s and Adolescent s Mental Health Under Conditions of Continuing Turmoil , International Psychiatry , vol. 8 , no. 1 , 2011 , p p 4-5

تحت غطاء ما يوفره الدين من امل في حياة اخرى اكثر امناً وسعادة ومن ثم تحويلهم الى مشاريع استشهادين مجانية لتلك الجماعات.

المطلب الثاني : الطفل العراقي وادمان العنف

ان ما يصنعه المجتمع بأطفاله وهم صغار يصنعوه به وهم كبار, ذلك ان شخصية الطفل ماهي الا انعكاس لصورة الحياة اليومية التي يعيشها والتي تترسب في ذاكرته بصورة شعورية او لا شعورية لتشكل ملامح شخصيته المستقبلية خارج مديات ارادتنا وقدراتنا . ([1]) وهو امر تؤيده احدث الدراسات الطبية حيث تشير الى ان دماغ الطفل الذي يعيش في مناطق النزاع يطلق مواد كيمياوية تختلف عن تلك التي يطلقها دماغ الطفل الذي يعيش في مكان آمن وان الطريقة التي يشكل بها الطفل علاقاته بالآخرين تتأثر بتلك الحقن الكيمياوية للدماغ ([2])

كما تبين ان ظروف الحرب تمنع نمو قشرة الفص الامامي للدماغ (حيث تحدث الاستجابات الاكثر منطقية وتنظيماً) وعليه فأن الطفل سيتعلم فقط الاستجابة في حالات البقاء على قيد الحياة. وبالتالي فأن نموه العقلي وارتباطاته الاجتماعية ستتغير بشكل دائم مدمرة النسيج الاجتماعي للبلد لعقود قادمة لتكون دوامة العنف جزءاً لا يتجزأ من مصير الجيل اللاحق . ([3])

ففي تسعينات القرن الماضي نبه المنسق السابق لبرنامج الامم المتحدة الانساني (هانزبون سبونيك) في تقرير له الى ان الوضع القائم في العراق سوف يؤدي الى ظهور جيل من الشباب اكثر تطرفاً وعنفاً من اي وضع سابق معروف فهؤلاء الشباب يشعرون بالمرارة والغضب ويحسون ان العالم كله قد تخلى عنهم . ([4])

---

[1] أ. د سامي مهدي العزاوي , نساء واطفال : قضايا الحاضر والمستقبل , مطبعة القبس , بغداد , 2008 , ص 10 .

[2] **Darby Fox, Children Amidst World s Conflicts at Risk of Becoming a lostGeneration . available on: http:// www.huffingtonpost.com**

[3] **Ibid.**

[4] نقلاً عن , معد الخرسان : تأثير الواقع النفسي لأطفال العراق في مرحلة ما قبل الاحتلال .متاحة على الموقع : http://www.alnoor.selarticle

فهل صدقت نبوءة هانز حيث تحول اطفال الامس الذين ذكرهم الى امراء حرب وعصابات وميليشيات في الحرب الدائرة اليوم. وماذا تراه سيقول عن مستقبل اطفال العراق اليوم وهم يخوضون بدمائهم ودماء ذويهم الذين يقتل بعضهم البعض بدم بارد؟.

تدرك الجماعات المسلحة والارهابية اهمية تعويد الطفل على مناظر القتل والدماء في بناء شخصيته المستقبلية واعداده لحروب المستقبل. ففي حادثة ذات دلالة في نيسان 2007 اقدم مسلحون على نحر اثنين من المعلمين امام اعين تلاميذهم في مدرستين في مدينة الشعب ببغداد وهي واحدة من الحوادث التي اصبحت مألوفة في عراق اليوم وقد رجح مسؤول امني في حينه ان يكون الهدف ترويع التلاميذ وابعادهم عن الدراسة. ([1])

في تحقيق نشرته مجلة (نيوزويك) بنسختها العربية عام 2007 تورد المجلة الكثير من القصص لأطفال يمثلون عينه مصغرة لواقع حياة الملايين من الاطفال الذين طحنتهم رحى الحرب وحولتهم مكرهين ومسيرين الى مشاريع قتلة وارهابيين وميليشيات رغماً عنهم وفي احدى تلك القصص للطفل (علي صد خان) 14 عاماً كان قد ساعد في غسل ودفن (300) جثة من خلال تواجده في الحسينية يقول متمالكاً نفسه من البكاء لا اريد ان اكون ضعيفاً مثلهم في اشارة الى الاموات والان يرتدي الملابس السوداء ويقول انه تلقى تدريباً لمدة اربعة اشهر على استعمال الاسلحة الخفيفة . ([2])

ان بوادر هذا التحول نجدها شاخصة في رسومات اطفال العراق ولعبهم حيث تظهر اثار الحدث الصدمي للحرب بشكل غير مباشر على صورة مشاعر يختزنها الطفل في لا وعيه فتظهر في رسوماته او اثناء اللعب . ([3])

---

[1] سعاد خبية , جحيم الحرب وتأثيرها على الصحة النفسية والعقلية لأطفال العراق . متاحة على الموقع :
http://www.dctcrs.org/s2266.htm

[2] كريستال كاريل , جيل العراق الجديد , مجلة نيوزويك (النسخة العربية) 23 ك2 2007 .متاحة على الموقع :
http://www.bbc.co.uk/arabic

[3] ايمان احمد ونوس , الاثار البعيدة والقريبة المدى للحرب على الاطفال . متاحة على الموقع :
http://www.an-nour.com/item / 1265

ان اطفالنا اليوم يميلون بل ويجيدون رسم مشاهد الحرب وصورها بدلاً من رسم المناظر الطبيعية او الصور التي تنمي الخيال والابداع لدى الطفل .ولا تكاد تجد اليوم طفلاً عراقياً لا يملك مسدس او بندقية مفضلاً اياها على اية لعبة اخرى .

وشاعت تلك الالعاب لاسيما في المناسبات والاعياد حتى تحولت الازقة الى ساحة مواجهات بين الاطفال الذين عادة ما ينقسمون الى ميليشيات مسلحة تمنع وحداتها الاطفال الاخرين من دخول احيائهم تأثراً بما يشاهدونه في الواقع او على شاشات التلفزة وكأنها اكاديمية لتعليم العنف وتلقين القسوة والانشقاق الاجتماعي .([1])

وبالرغم من خطورة هذه الظاهرة على مستقبل الاطفال ووقوع العشرات من الاصابات بين الاطفال فأن الحكومة لم تتخذ اجراءات جدية في هذا الخصوص . ([2])

ويفضل الاطفال ايضاً الالعاب الالكترونية العنيفة التي تركز على فكرة (كيف اقتل الاخر) وليس من اجل الدفاع عن النفس . ففي قصة ذات دلالة يقول (وضاح) وعمره (9سنوات) : "في عصر كل يوم اتي الى هذه الصالة وقد مضى اكثر من عام وفي اول ربع ساعة اتمكن من ذبح اكثر من عشرين شخص لأصبح امير الامراء " ويضيف : " لا استخدم الرشاش او القاذفة الا نادراً وافضل الذبح بالحربة" . ([3])

ان مناظر القتل والدماء والجثث عندما تهيمن على الواقع اليومي ومخيلة الاطفال يمكن ان تتلاشى الحدود الفاصلة بين العالم الافتراضي والواقعي . ففي 13 يناير 2015 بث تنظيم ما يعرف بالدولة الاسلامية (داعش) على شبكة الانترنت شريط فيديو يظهر طفل وهو يقوم بعملية اعدام اثنين من الرهائن الروس مشيراً الى انهما وقعا في قبضة (اشبال الخلافة) وهي المرة الاولى التي يظهر فيها التنظيم طفلاً ينفذ عملية اعدام بعد ان كان يظهر صوراً لأطفال يقاتلون او يحملون رؤوس مقطوعة بعد اعدام اصحابها . ([4])

---

[1] سعاد خبية , مصدر سابق

[2] عادل كمال , الاطفال ايضاً يخوضون حربهم. متاحة على الموقع : http://www.niqash.org/articles

[3] شذى الجنابي , رغم قرار الحكومة بمنع لعب العنف مازالت حروب الاطفال البلاستيكية . متاحة على الموقع : http://www.altaakipress.com

[4] داعش ينشر شريط فيديو جديد لفتى وهو يقوم بأعدام رهينتين . متاحة على الموقع :

ان الاثار النفسية التي خلفتها الحرب في اجيال من العراقيين تفوق بما لا يقاس الدمار المادي الذي احدثته فقد خلفت الملايين من الاطفال المصابين بالاضطرابات السلوكية والاعاقات النفسية على انواعها . انه جيل فاقد الاحساس والامل بالحياة ومن بين هؤلاء تجد المجاميع المسلحة ضالتها في تجنيد الاستشهاديين والانتحاريين.

كما انها خرجت ايضاً الملايين من الاطفال والمراهقين من الذين اعتادوا على منظر الدماء واشلاء الجثث والدمار وتعايشوا معها على انها انماط طبيعية للحياة . وفي ظل فشل السياسات الحكومية اتقنت الجماعات المسلحة والارهابية الاستثمار في صفوف المعوزين من هؤلاء لأعداد امراء حروب المستقبل .

المبحث الثالــث: المقاربة التنموية : اهمال الطفولة والعنف المستدام

المطلب الاول : اهمال حقوق الطفل في العراق

تعاني الطفولة في العراق على الصعيد الاجتماعي من عدد من العلل المزمنة الناتجة عن الحروب والتي ترتبط كل منها بالأخرى لتزيد من حدتها وتدهورها مما يجعل ملايين الاطفال يدورون في حلقة مفرغة في ظل فشل وقصور السياسات التنموية في البلاد .

ولعل من اهم تلك العلل ظاهرة الايتام واطفال الشوارع . فقد تضخم جيش الايتام في العراق واصبح يزداد يوما بعد اخر . ويقدر عددهم بـ 4,5 مليون طفل مع 1 ـ 3 مليون ارملة ([1]) والكثير من هؤلاء اصبحوا من اطفال الشوارع الذين تقدر اعدادهم بـ 600 الف ([2]) قبل تفاقم موجات النزوح في 2014 م . وبالرغم من عدم وجود إحصائية دقيقه لأعدادهم اليوم فأن هذا العدد من الكثرة الى حد انك تجدهم اليوم في كل مكان في مدن العراق على شكل متسولين وباعه وعمال صغار .

كما وباتت ظاهرة عمالة الاطفال في العراق ظاهرة واسعة تكشف عن قصور السياسات الحكومية وتقدر نسبتهم حتى عام 2011 بـ 11% من مجموع الايدي

. news . Yahoo .com http://www.maktob

[1] Joanna Baker , Op.cit

[2] .Ibid

العاملة ([1]) وتشير التقارير الى ما يقرب من 500,000 طفل بين 4 ـ 15 يستغل كطفل عامل ويرسلون للعمل في اماكن مؤذيه وقاسيه ([2]) . والوجه الاقبح لهذه الظاهرة يتمثل في اطفال المقالع الذين يعيشون ويعتاشون على مناطق الطمر الصحي (النفايات).([3]) وتداخل هذه الظاهرة وتلك مع ظاهرة التسرب من المدرسة وتشير الاحصائيات الى ان نصف الاطفال الذين هم بعمر التسجيل في المدارس لا يداومون وتزداد هذه النسبة لدى الاناث . وكان وزير حقوق الانسان الاسبق بختيار امين قد اعلن في عام 2005 م ان هناك حوالي مليون طفل متسرب من المدارس ونفس العدد من الاطفال المعاقين والنازحين . ([4]) ولاشك ان هذه النسبة قد ارتفعت بشدة ان لم تكن تضاعفت مع تضاعف اعداد الايتام والمهجرين منذ ذلك الوقت .

لقد كانت حصيلة هذه الظواهر مجتمعةً تزايد معدلات الاستغلال الجنسي للأطفال واستفحال ظاهرة الادمان على المخدرات وحبوب (الكبسلة) التي لا تقتصر على تلك الشرائح بل اصبحت تفتك بأطفال وشباب العراق على مختلف المستويات الاجتماعية كواحدة من اخطر اثار الحروب . ([5])

وبرغم خطورة هذه الظواهر الاجتماعية على حاضر البلاد ومستقبلها , تغيب المعالجات الحكومية الجدية لها , بل لا وجود حتى لقاعدة بيانات تمهد لدراسة ومعالجة

---

[1] للتفصيل ينظر : د . سميرة عبد الحسين كاظم , عمالة الاطفال في العراق : الاسباب والحلول , مجلة البحوث التربوية والنفسية , العدد 30 , بغداد , 2011 , ص ص 150 ـ 192 .

[2] The situation of Children in Iraq , Op .cit , p 8

[3] مناف الساعدي , اطفال المقالع : الوجه الاقبح لعمالة اطفال العراق .
متاحه على الموقع : http: //www. dw.de

[4] عبد الله تركماني , انتهاكات حقوق الطفل العراقي في ظل الاحتلال . المظاهر والنتائج متاحه على الموقع: http://www.mokarabat.com

[5] قاسم عبود الدباغ , التسول والانحراف عند الاطفال في العراق , وزارة التخطيط والتعاون الانمائي , بغداد , 2009 , ص81 . وكذلك : سوسن شاكر مجيد , المخدرات واثارها النفسية والاجتماعية على الشباب . متاحه على الموقع http//:www.alhewar.org

هذه الظواهر ولا تصدر وزارة العمل والشؤون الاجتماعية اية بيانات دورية عن الاطفال العاملين او اطفال المقالع او الجانحين اليتامى خشية من تبعاتها السياسية.

كما ان المعلومات والمعطيات لمن يرغب في الاطلاع والدراسة متعذرة الا بإذن خاص.([1]) وفي مقابل هذا القصور الخطير في السياسات التنموية اتقنت الفصائل المسلحة الاستثمار السلبي في هذه الجيوش المليونية من الايتام والمعوزين والمدمنين ليشكلوا معينها من المحاربين او تسخيرهم واغرائهم للقيام بأعمال القتل وزرع العبوات الناسفة وتفخيخ السيارات. ([2]). وفي هذا الصدد يقول جون باورز وهو احد الضباط الامريكان الذين خدموا في العراق ثم اتجه الى العمل في المنظمات الانسانية في العراق بعد تقاعده : " ان ملايين الاطفال والمراهقين خارج المدارس في العراق يشكلون قاعدة الامداد الرئيسة للفصائل المسلحة التي تحسن توظيفهم واستغلالهم لأعداد اجيالها القادمة من المحاربين " . ([3])

ان كل ذلك يوضح المدى الذي يمكن للحرب ان تعيد فيه انتاج نفسها من خلال الاستثمار في ضحاياها . فضحايا الامس هم امراء وقادة المجاميع والميليشيات وكذا الحال في المستقبل في تبادل درامي للأدوار من الضحية الى الجلاد .

المطلب الثاني : حقوق الطفل العراقي واستثمار المستقبل

يشكل الاطفال ما نسبته 56% من سكان العراق البالغين اكثر من 33 مليونا ويعد بذلك ثاني اكثر البلدان فتوة في المنطقة . ([4]). وبحسب منظمة وورتشيلد فأن العراق تحول من كونه من افضل الاماكن للطفل في الشرق الاوسط وشمال افريقيا في السبعينات من القرن الماضي الى واحد من اسوأ واخطر الاماكن على الطفل . ([5]) فحتى

[1] مناف الساعدي , مصدر سابق .

[2] Jon Powers , the Impact of the War on Iraq's Youth :Aground Truth Interview with CPT. available on : http://www.epic.usa.org

[3] Ibid

[4] The Situation of Children in Iraq,Op.cit,p5

[5] Mission Unaccomplished : Iraq Statement Report 10 Years,produced by : Kate Adams,2013. available on : http://www.warchild.org.uk

الثمانينات من القرن الماضي كان العراق افضل دول المنطقة في مجال خدمات التعليم ومحو الامية ([1])

كما كان رائدا في مجال ادب وثقافة الطفل فاول مجله في ادب وثقافة الطفل ظهرت في بغداد هي مجلة (التلميذ العراقي) وصدرت في ت2 1922 اي بعيد تأسيس الدولة العراقية الحديثة . كما كان العراق من انشط دور النشر في الشرق الاوسط والمنطقة العربية ([2]) مع واحد من افضل نظم الخدمات الصحية في المنطقة.([3]) لقد انهكت عقود من الحروب البلاد واستنزفت موارد التنمية حتى وصل مستوى الفقر اليوم الى 30% بحسب مدير مكتب رئيس الوزراء مهدي العلاق . ([4]) وتراجع ترتيب العراق منذ اول تقرير في حساب التنمية البشرية عام 1990 م من المرتبة 76 حيث كان ترتيبه حتى بعد حرب طويلة مع ايران افضل من ترتيب جميع دول الجوار باستثناء الكويت . ([5]) الى المرتبة (120) في اخر تقارير التنمية البشرية لعام 2014 م . ([6])

لقد حظى العراق بعد عام 2003 بميزانيات انفجاريه لاسيما بعد ارتفاع اسعار النفط منذ عام 2009 م وقد عقدت الآمال على النهوض في القطاعات التي دمرتها الحروب السابقة وقد بلغ اجمالي تلك الموازنات للفترة من 2003 ـ 2014 اكثر من

---

[1] Bombs and Backpacks: Education in Iraq . available on : http://www.muftah.org

[2] للتفصيل ينظر: افراح شوقي , العراق من ربع مليون نسخه في السبعينات الى 150 الف نسخه اليوم , جريدة الشرق الاوسط , العدد 12493 , 10 شباط 2013 . متاحة على الموقع : http://www.classic.aawsat.com

[3] Abdul kareem AL- Obaidi and other authors,Iraqi Children's Rights : Building a System Under fire , Medicine,conflict and survival ,vol.25,no.2,2009,p150. Available on: http//www.tandfonline.com

[4] كنوز ميديا , العمل تعتزم انجاز وثيقة سياسية لحماية الطفل العراقي واطلاقها نهاية العام الجاري , متاحة على الموقع: http//:www.knoozmedia.net

[5] العراق : التقرير الوطني للتنمية البشرية 2014 : شباب العراق تحديات وفرص , ط1 , وزارة التخطيط العراقية , 2014 , ص51.

[6]) تقرير التنمية البشرية 2014 : المضي في التقدم : بناء المنعة لدرء المخاطر , برنامج الامم المتحدة الانمائي, نيويورك , 2014 , ص159 .

(650) مليار دولار. ([1]) اي اضعاف مجموع ميزانيات الدولة العراقية خلال الفترة 1921-2003.

لكن هذه الموازنات الضخمة لم تقد الى احداث اي تحول على الصعيد التنموي وباستثناء تحسن مستوى الدخل فقد ظل التحول مقتصرا على الانفاق الاستهلاكي ولم يرافقه تحولات كبيرة في مجال الاستثمار في البنى التحتية والتعليم والصحة والتي هي الاساس في انجاز تنميه مستدامة .

لقد طغى على تلك الموازنات الطابع الامني وقد تكرس هذا التوجه في ميزانية عام 2015 م حيث تم تخصيص ما يعادل ربع الميزانية للأمن والدفاع . ([2])

لم تكن الميزانيات الضخمة في العراق طيلة السنوات العشر الأخيرة صديقة للطفولة ولم يحض الاستثمار في الطفولة او في المستقبل بأي اهتمام جدي من لدن صناع القرار وحتى عندما اطلقت الدولة استراتيجية الحد من الفقر في عام 2009 فأنها لم تدخل حيز التنفيذ وفي 2013 تم تخصيص 1,7 مليار دولار لغرض تنفيذ مشاريع موجهة الى الفقراء الا انها لم تكن الا بضعة مشاريع متفرقة لم يحتل الاطفال اية اولويه فيها . ([3])

ولم يكن سوء التخطيط وغلبة الهم الامني وحدهما المسؤولان عن هذا القصور التنموي بل ساهمت عوامل اخرى اهمها :

1. الفساد السياسي والاداري : حيث هيمنت القرارات والمزاجات السياسية على الخطط والمشاريع الاقتصادية . ([4]) بالإضافة الى انشغال النخب بمصالحها الشخصية والحزبية وغياب المسؤولية والهم الوطني . فعلى سبيل المثال خصص للقطاع الصناعي في

---

[1] ينظر موازنات 2003 ـ 2014 في : التقرير الوطني للتنمية البشرية, مصدر سابق , ص54 .

[2] موازنة العراق لعام 2015 : مائة مليار دولار ربعها للأمن والدفاع . متاحة على الموقع :http//:www.kitabat.com

[3] موقع باب الحوائج , الاستثمار في الطفولة طريقنا لضمان المستقبل. متاحة على الموقع : /http /;www.al-asghar.com/arabic/

[4] قاسم عبود الدباغ , مصدر سابق , ص69 .

ميزانية 2015 ما نسبته 1,3% في حين تم تخصيص 2,4% لخدمات مجلس النواب اي ما يقارب الضعف . ناهيك عن مخصصات الرئاسات الثلاث . ([1])

ولم يكن الاستثمار في الطفولة غائبا تماماً عن اهتمامات بعض القيادات السياسية ففي ايلول عام 2012 م طرح رئيس المجلس الاعلى عمار الحكيم مبادرة (رعاية الطفولة والتنمية) وهي مبادرة طموحة في هذا المجال تضمنت احدى محاورها السبعة تخصيص ما نسبته 1,5% من الموازنة لصندوق رعاية الطفولة . ([2]) الا ان هذا المشروع لم يرى النور بسبب التجاذبات السياسية . وكمكمل للفساد السياسي يأتي دور الفساد الاداري والمالي الذي يتداخل مع النوع الاول للفساد ويعمل تحت مظلته .

2. التهديد الامني وانتشار الافكار الظلامية : التي تنظر الى بعض مرافق خدمة الطفل مثل الملاهي والمسارح ودور السينما على انها ضرب من الكفر والبدعة وبالتالي تمنع المستثمرين من انجاز تلك المشاريع او تفرض عليهم "اتاوات" عالية جدا . ([3])

3. ضعف الجهد التنموي المساند للمنظمات الدولية : والذي لا يتناسب ابدا مع حجم الضرر الذي يلحق بالطفولة في العراق . وفي هذا الصدد تشير منظمة وورتشيلد الى ان اطفال العراق يشكلون ازمه مهمله على الصعيد الدولي وتشير المنظمة الى تراجع مساعدات التنمية الدولية بنحو 19 مليار بين عالي 2005 و 2011 . وهو ما يؤشر الحاجه الى جهد دولي اكبر لإصلاح ما تم تخريبه في العقدين السابقين . ([4])

ان الاستثمار في مستقبل الطفولة اخذ يحتل اليوم الاولوية في اهتمامات وجهود التنمية في البلدان المتقدمة واصبح احد عناوين العصر لما يشكله من استثمار مضمون وعوائد مضاعفه في جميع المجالات . فالارتقاء بمستوى التعليم والصحة والتغذية يعني في

---

[1] د. كامل العضاض , الموازنة المالية الاتحادية لجمهورية العراق للسنه المالية 2015 مالها وما عليها : نقد تحليلي . متاحة على الموقع : http//:www.iraqieconomist.net

[2] موقع براثا : السيد عمار الحكيم يطلق مبادرة لرعاية الطفولة في العراق . متاحة على الموقع : http//:www.burathanews.com

[3] سعاد خبية , مصدر سابق .

[4] Mission Unaccomplished . Op cit , p 11

الغد افراد منتجين وعاملين بمهارات اوسع كما يعني تقليل الكثير من النفقات في تلك القطاعات . ([1]) كما انه يحتل موقع القلب في عملية بناء تنمية مستدامة ومستقبل مستدام .([2])

اما في العراق فأن الاستثمار في مستقبل الطفولة لا يقتصر على كونه خيارا تنمويا عصريا بل هو قضية مصير ووجود لوقف انزلاق البلاد الى قعر الهاوية وانتشال اجيالنا القادمة من براثن الارهاب العالمي والعصابات الإجرامية التي اوغلت في استثمارها السلبي في اطفالنا ممن طحنتهم رحى الحرب لتحولهم الى مشاريع قتلة وارهابيين وميليشيات مسلحة .

الخاتمــة

ان النزيف البشري والمادي الذي احدثته عقود من الحروب المتعاقبة في العراق سيحتاج الى عقود اكثر للشفاء من اثاره وتداعياته . لقد خلفت الحرب الملايين من القتلى والايتام واطفال الشوارع فضلا عن الملايين من المصابين بالإعاقات والاضطرابات النفسية .وازاء قصور السياسات الحكومية نجحت الجماعات والميليشيات المسلحة في الاستثمار في هذه الجيوش المليونية من الاطفال لتحولهم الى مشاريع قتلة واستشهادين وقادة ميليشيات .

ان خروج العراق من دوامة الحرب والعنف رهن بانتشال الطفولة من هذه الحلقة المفرغة التي تحول ضحايا اليوم الى امراء حروب الغد ويتطلب ذلك :

اولا : معالجة الاثار النفسية والمادية للحروب على اطفال العراق وذلك يتطلب تهيئة مراكز اعادة التأهيل مع ما تتطلبه تلك المراكز من مستلزمات وكوادر بشرية مؤهلة مع امكانية الاستعانة بالخبرات والكوادر الاجنبية لسد النقص الحاصل في الاخصائيين في العراق وكذلك امكانية الاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال.

[1] For more details look : Sustainable Development Starts and Ends with Safe Healthy and Well . Educated Children , May , 2013 available on : http //:www.west-info-eu

[2] For more details look: Investing in Children : Brief Review of the Social and Economic Return to Investing in Children , unicef , June 2012 , available on : http//:www.unicef.org

ثانيا : اعتماد سياسات تنموية قائمة على رعاية الطفولة والاستثمار في مستقبلها بعده الاساس الرصين للأمن والتنمية معا وهو ما يتطلب الاستثمار في الطفل واعتماد ميزانية وخطط استثمارية صديقة للطفولة وتعتمد على تنشئة اجيال محبة للتعايش والتسامح وبعيدة عن لوثة العنف والارهاب وهو ما يتطلب وضع استراتيجية طويلة الامد تبدا من الحضانة والروضة مرورا بالبيت والمدرسة مع ضرورة الاهتمام بالنشاطات اللاصفية في المدارس كالتربية الفنية والرياضية. لقد فشلنا طيلة ما يقارب القرن من عمر الدولة في استثمار مواردنا الطبيعية الهائلة وامكاناتنا البشرية اللامحدودة بسبب رهاننا على الحرب والاحتلال والامن المفقود ونحن اليوم بحاجة الى تحويل رهاننا الى مستقبل الطفولة . فليس من العدالة ولا من الانصاف ان نحمل الاجيال القادمة مسؤولية ذلك الفشل .

ثالثا : نهوض المجتمع الدولي بمسؤولياته الاخلاقية والقانونية عن اطفال العراق لاسيما وانه منخرط في مصير العراق منذ عام 1991 والكثير من الجرائم الدولية بحق اطفال العراق ارتكبت تحت ستار الشرعية الدولية او في ظل سكوت وتجاهل المجتمع الدولي. وهو امر تحتمه ايضا ضرورات ومستقبل الامن والسلم الدوليين في هذه المنطقة الحساسة من العالم .

التوصيات : السياسات المطلوبة

اولا : على المدى القريب (اثناء الحرب) :

1. توفير الاحتياجات الاساسية والملحة للأطفال المتضررين كالغذاء والخدمات الصحية الاساسية فضلا عن توفير الخدمات التعليمية للأطفال النازحين والمهجرين طبقا لمصالح الطفل الفضلى وعلى اساس العمر بعيدا عن الاجراءات الروتينية المعقدة.

2. اتخاذ اجراءات صارمة لمنع تجنيد الاطفال من قبل المتمردين والميليشيات المسلحة .

3.ستراتيجية اعلامية تعمل على ابراز محنة اطفال العراق وعدد القتلى واليتامى والمشردين على الصعيدين الداخلي والدولي بغية تحشيد الرأي العام للضغط على الاطراف الدولية والداخلية لوقف نزيف الحرب .

4. جهد دبلوماسي لتجفيف منابع الدعم السياسي والاقتصادي للجماعات والميليشيات المسلحة . من خلال تعبئة جهد دولي ضاغط على الاطراف والمنظمات التي تدعم او تتعامل مع تلك الجماعات .

ثانيا : على المدى البعيد (ما بعد الحرب) :

1. اصدار تشريعات جديدة (مثل قانون حماية الطفل) تعطي الاولوية لإعادة تأهيل ودمج ورعاية جميع شرائح الاطفال المتضررين من الحروب .

2. وضع ميزانية صديقة للطفولة وتشجيع الاستثمار في مجال البنى التحتية الخدمية للطفل على صعيد التعليم والصحة والثقافة والرياضة .

3. تشجيع الدراسات والبحوث والتقارير التي تتناول مشكلات الطفولة على مستوى الجامعات والمعاهد والمراكز البحثية .

4. انشاء مركز وطني متخصص مدعوم بقاعدة بيانات وطنية . يعنى بالطفل العراقي حاضرا ومستقبلا ويخطط لحياة كريمة وزاهرة لقادة وبناة المستقبل .

Abstract

The importance of studying the impact of wars on civilians in general and children, especially with the increasing number of victims and the transformation in the nature of wars and armed conflicts, which is now more deadly children, including fighters.

The human and material bleeding caused by decades of successive wars in Iraq will require more decades to recover from its effects and repercussions. The war has left millions of dead, orphans and street children, as well as millions of people with disabilities and mental disorders. In the face of inadequate government policies, armed groups and militias have succeeded in investing in these millions of children into projects of killers, martyrs and militia leaders.

The exit of Iraq from the cycle of war and violence depends on the removal of childhood from this vicious circle that transform the victims of today to the princes of the wars of tomorrow